مجلة الدراسات اللغوية

فصلية محكمة تعنى بدراسة النحو والصرف واللغويات والعروض

مركز الملك فيصل
للبحوث والدراسات الإسلامية

المجلد الرابع - العدد الثاني

ربيع الآخر - جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ
(يوليو - سبتمبر ٢٠٠٢م)

- أنماط صفة الغُنَّة.
- ظاهرة تعليل الألفاظ.
- التعليل في الاستعمال اللغوي.
- أصول التعليل عند الخليل.
- الوظيفة السياقية لضمير الفصل.
- كتاب نتائج التحصيل.
- العروض المشكلة والحل.
- البحر المتدارك.

م/ ١٥-١٦

مجلة الدراسات اللغوية

فصلية محكمة تعنى بدراسة النحو والصرف واللغويات والعروض

رئيس التحرير
تركي بن سهو العتيبي

هيئة التحرير
صالح بن حسين العايد
صالح بن سليمان العمير
عبدالرحمن بن محمد العمار

مدير التحرير
سيف بن عبدالرحمن العريفي

عنوان المراسلة
مجلة الدراسات اللغوية
ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣
المملكة العربية السعودية
ناسوخ ٤٦٥٩٩٩٣

Journal of Linguistic Studies
P.O. Box 51049 Riyadh 11543
Saudi Arabia
Fax: 4659995

ردمد: ١٣١٩-٨٥١٣
الإيداع: ٢٠/٩٨٢

المحتويات

• التقديم ٥

البحوث والدراسات:

• أنماط صفة الغُنَّة
مشتاق عبّاس معن ١١
• ظاهرة تعليل الألفاظ
بلقاسم بلعرج ٤٣
• التعليل في الاستعمال اللغوي
أحمد خضير عبّاس ٥٧
• أصول التعليل عند الخليل
رشيد حليم ٩٧
• الوظيفة السياقية لضمير الفصل
محمد عبد نياب الهيتي ١١٧

الآراء ونقد الكتب:

• كتاب نتائج التحصيل
وليد محمد السراقبي ١٣٩
• العروض المشكلة والحل
غالب محمد الشاويش ١٨٣
• البحر المتدارك
عمر خلوف ٢٣٣

المجلد الرابع- العدد الثاني- ربيع الآخر- جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ/يوليو- سبتمبر ٢٠٠٢م

الهيئة الاستشارية للتحرير:

* إبراهيم بن سليمان الشمسان	أستاذ النحو جامعة الملك سعود.
* أمين عبدالله سالم	أستاذ النحو كلية اللغة العربية المنوفية.
* حسن شاذلي فرهود	أستاذ النحو سابقاً في جامعة الملك سعود.
* سليمان بن إبراهيم العايد	أستاذ علم اللغة جامعة أم القرى.
* عبد العلي الودغيري	أستاذ اللغويات جامعة محمد الخامس.
* عبدالله الطيب	رئيس مجمع اللغة العربية السودان.
* عبدالله بن حمد الخثران	أستاذ النحو جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
* علي أبو المكارم	عميد كلية دار العلوم جامعة القاهرة.
* عياد بن عيد الثبيتي	أستاذ النحو جامعة أم القرى.
* محمد بن حسن باكلا	أستاذ علم اللغة جامعة الملك سعود.
* محمد رشاد الحمزاوي	أستاذ اللسانيات كلية الآداب الجامعة التونسية.
* محمد بن يعقوب تركستاني	أستاذ علم اللغة الجامعة الإسلامية.
* محمود فهمي حجازي	أستاذ علم اللغة كلية الآداب جامعة القاهرة.
* عثمان بن محمود صيني	أستاذ النحو المشارك كلية إعداد المعلمين الطائف.

ضوابط النشر:

١. أن يكون البحث ضمن اختصاصات المجلة، وهي: الدراسات النحوية والتصريفية واللغوية واللسانية والعروضية.

٢. ألا يزيد البحث على ثمانين صفحة.

٣. ألا يكون البحث منشوراً، أو مقدماً للنشر في مجلة أخرى.

٤. أن يكون البحث مطبوعاً على ورق (A4).

٥. دقة التوثيق والتخريج، وأن تكون هوامش كل صفحة أسفلها.

٦. أن يكون البحث مذيلاً بالمراجع كاملة البيانات.

٧. أن يكون البحث باللغة العربية.

٨. أن يكون البحث متسماً بالأصالة، وفيه جدة وابتكار.

٩. أن يقدم الباحث من بحثه ثلاث نسخ وملخصاً له.

١٠. لا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أقبلت أم لم تقبل.

تخضع البحوث التي تقدم إلى المجلة للفحص العلمي من قبل متخصصين ترشحهم هيئة التحرير

كل ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إنَّ بني عَمِّكَ

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ والصَّلاةُ والسَّلامُ علَى خيرِ المرسلينَ أمَّا بعدُ:

فَلَقَدْ كَثُرَ في الآونةِ الأخيرةِ تَرْدَادُ نَغْمَةٍ قَدِيمَةٍ حَدِيثَةٍ وهيَ التَّضَجُّرُ منَ النَّحْوِ، وليسَ هُوَ تَضَجُّرٌ منْه، بِقَدْرِ مَا هُوَ تَضَجُّرٌ منَ العربيَّةِ بناءً وتراكيبَ، ولَقَد اشْتَدَّ أوارُه، واستَعَرَتْ نارُه حينَ دَعا مَنْ دَعَا إلى هجرِ قواعدِه وبناءِ قواعدَ جديدةٍ، أوْ منْ كانَ أخفَّ وطأةً فنادَى بتسهيلِه وتيسيرِه، وتَصَدَّى لهؤلاءِ وأولئكَ منْ علمَاءِ العربيَّةِ ونحويِّيها مَنْ كانَ له قدمُ صدقٍ في النَّحوِ والعربيَّةِ وعلومِها فكانَ منهم ما كانَ.

فلَلَّه درُّ عَبْدِالقَاهرِ الجُرْجَانيِّ – رحمه الله تعالى – حينَ قَالَ: « وأمَّا زُهْدُهُمْ في النحوِ واحتقَارُهُم له، وإصْغَارُهمْ أمْرَهُ، وتَهَاونُهمْ به، فصَنِيعُهُمْ في ذلكَ أشْنَعُ منْ صَنِيعِهم في الذي تقَدَّمَ، وأشْبَهُ بأنْ يكونَ صدًّا عنْ كتَابِ اللهِ، وعنْ معْرِفَةِ مَعَانيه، ذَاكَ لأَنَّهُمْ لا يجدُونَ بدًّا منْ أنْ يَعْتَرِفُوا بالحَاجةِ إليه فيه، إذْ كانَ قَدْ عُلِمَ أنَّ الألْفَاظَ مُغْلَقَةٌ علَى مَعَانيها حتَّى يَكُونَ الإعْرَابُ هوَ الذي يفْتَحُها، وأنَّ الأغْرَاضَ كامِنَةٌ فيها حتَّى يَكونَ هوَ المُسْتَخرِج لها، وأنَّه المعيارُ الذي لا يتبيَّنُ نقصَانُ كَلامٍ ورجحانُه حتَّى يُعرضَ عليه، والمقياسُ الذي لا يعرَفُ صحيحٌ من سقيمٍ حتَّى يرجعَ إليه، لا ينكرُ ذلكَ إلا من ينكرُ حسَّه وإلا منْ غالطَ في الحقائقِ نفسَه، وإذا كانَ الأمرُ كذلكَ فليتَ شعري ما عذرُ من تهاونَ به، وزَهِدَ فيه، ولم

يــرَ أن يســتقيَه من مصبِّه، ويأخذَه من معدنه، ورَضِيَ لنفسه بالنقص، والكَمالُ لها معــرِضٌ، وآثــرَ الغبينةَ وهوَ يجدُ إلى الربحِ سبيلاً، فإن قالُوا: إنَّا لم نأبَ صحَّةَ هذا العــلمِ ولــم نــنكرْ مكانَ الحاجةِ إليه في معرفةِ كتابِ الله تعالى، وإنَّمَا أنكرْنا أشياءَ كــثَّرتموه بهــا، وفضولَ قولٍ تكلفتُمُوها، ومسائلَ عويصةً تجشَّمتُم الفكرَ فيها، ثمَّ لم تحصلُوا على شيءٍ أكثرَ من أن تُغْرِبُوا على السَّامعينَ، وتعابُوا بها الحاضرين.

قيــلَ لهم: خَبِّرونا عمَّا زعمتُم أنَّه فضولُ قولٍ، وعويصٌ لا يعودُ بطائلٍ ما هُوَ؟ فــإنْ بــدَأوا فذكــرُوا مســائلَ التصريفِ التي يضعُها النحويُّونَ للرِّيَاضةِ ولضربٍ من تمكيــنِ المقــاييسِ في النفوسِ كقولهم: كيفَ تبني من كَذَا كَذَا؟ وكقولهم: ما وزنُ كَذَا؟ وتتــبعُهم فــي ذلكَ الألفاظَ الوحشيةَ.... وأشباهَ ذلك، وقالُوا: أتشكُّونَ أنَّ ذلكَ لا يجدي إلا كَدَّ الفكْرِ وإضَاعَةَ الوقْتِ؟.

قلْــنا لهــم: أمَّا هذا الجنسُ فلسنا نعيبُكم إنْ لم تنظرُوا فيه، ولم تعنَوا به، وليسَ يهمُّــنا أمــرُه فقولــوا فيه ما شئتُم وضعُوه حيثُ أردتُم، فإنْ تركُوا ذلكَ وتجاوزُوه إلى الكــلامِ عــلَى أغراضِ واضعِ اللغةِ على وجهِ الحكمةِ في الأوضاعِ، وتقريرِ المقاييسِ الــتي اطَّــردَتْ عليها، وذكْرِ العللِ التي اقتضَتْ أن تُجْرَى على ما أُجْرِيتْ عليه.... ثمَّ يقالُ لهم: ليسَ إلا أحدَ أمرَيْنِ:

إمَّــا أن تقــتحمُوا الــتي لا يرضــاهَا العاقلُ، فتتكرُوا أن يكونَ بكم حاجةٌ في كــتابِ الله تعــالى، وفــي خــبرِ رسولِ اللهِ صلَّى الله عليه وسلَّمَ وفي معرفةِ الكلامِ جملةً إلى شيءٍ منْ ذلك....

وإمَّــا أن تعلمُوا أنَّكُم قد أخطأتُم حينَ أصغرتُم أمرَ هذا العلمِ وظننتم ما ظننتم فيــه، فــترجعُوا إلى الحــقِّ وتسلمُوا الفضلَ لأهله، وتَدَعُوا الذي يُزري بكم، ويفتحُ بابَ العيبِ عليكُم، ويطيلُ لسانَ القادحِ فيكم، وبالله التوفيقُ»[1].

(١) دلائل الإعجاز: ٢٨-٣٢.

ولله درُّ أبـــي فهـــرٍ الأستاذ محمود شاكر – رحمه الله تعالى – إذ يقولُ: «ونفـــثةُ مصـــدورٍ أختمُ بها هذا التاريخَ أنَّ طائفةً من متهوِّري أهلِ زماننا وهو زمـــنُ التهوُّرِ والثرثرةِ قدْ أوغلوا إيغالاً شنيعاً يلحقُ بالعبثِ في التهوينِ من شأنِ النَّحْوِ الذي بنى عليه عبدُالقاهرِ نظرَه في الكشفِ عن إبهامِ البلاغةِ فوضعَ أساسَ عـــلمِ تحـــليلِ التركيبِ اللغويِّ تحليلاً يبينُ عن درجاتِ البيانِ الإنسانيِّ في جميعِ لغاتِ البشرِ وعن سرِّ تأثيرِ الكلامِ المركَّبِ من الألفاظِ في نفسِ الإنسانِ المتذوِّقِ لهـــذا الكـــلامِ، فيهـــتزُّ لبعضـــه اهتزازَ الأريحيَّةِ، ويجدُ له من العذوبةِ والبشاشةِ ما يحمـــلُه عـــلى حفظِه وترديدِه، وتأمُّلِ جمالِه وروعتِه، وجهلةُ الدُّعاةِ إلى تبسيطِ النحوِ المهوِّنيـــن مـــن شـــأنِه إنَّما يريدُونه علماً فارغاً لا يزيدُ على أن يكونَ مجرَّدَ عاصمٍ من الخطأِ في ضبطِ أواخرِ الكلماتِ رفْعاً ونصْباً وجراً وجزماً لا غير»[1].

فلـــلّه درُّ هذيـــنِ العـــالمينِ العـــلمين، ما أحرصهما على العربيةِ نحواً ولغةً، وما أشدَّ دفاعَهمـــا، ممـــا لـــو قالَـــه غيـــرُهما لرمي بالتشدُّدِ والتزمُّتِ، ولكنَّه منهما سيبقى أثراً خالداً ونبراساً متَّقداً يضيءُ على مرِّ الدُّهورِ وكرِّ العصورِ، فلهُما من الله الأجرِ والثَّوابِ.

والسَّلامُ عليكُم ورحمةُ الله وبركاتُه.

رئيس التحرير

(١) مداخل إعجاز القرآن: ١١٨ .

أولاً : البحوث والدراسات

أَنْمَاطُ صفَة الغُنَّة وقِيمتُها التمييزية
قِرَاءَةٌ فِي المُصْطَلَحِ وَالمفْهومِ

مشتاق عبّاس معن
مدرّس البلاغة واللسانيات، في كلية التربية
(المحويت)- جامعة صنعاء

ديباجة: إنّ القول بحيازة العرب – مع بعض الحضارات الأخرى– قصب السبق في مناحٍ علمية كثيرة أضحى من المسلمات التي لا يختلف فيها اثنان، ومن تلك العلوم (علم الأصوات) الذي تجد له في المظان العربية القديمة المختلفة شواهد كثيرة تقرب من النتائج الحديثة، فضلاً على طَرْقهم لمناحي هذا العلم المتنوعة– بدءاً بالتشريح والتذبذب والنطق ومروراً بالتعامل وانتهاء بالتطور، متراوحاً بين التصريح والتلميح.

وسلكت أكثر الدراسات الصوتية بمناهجها الحديثة، جانب التخصّص الدقيق وذلك لتكثيف الجهود على ظاهرة صغيرة لجلاء ما عليها من غبار لتظهر بعد ذلك بيّنة المعالم واضحة الحدود، كأنْ تأخذ صفة مُعيّنة أو صوتاً مُعيّناً لتشبعها بعد ذلك درساً.

ونهضت أغلب البحوث الصوتية الحديثة بقراءة التراث الصوتي العربي القديم قراءة حديثة والنظر إليه بعين الحاضر، ليتمّ من خلالها توضيح المستغلق من القديم بأدوات حديثة، أو العكس، وتحقيق التواصل مع التراث من دون انقطاع، لئلا ننسلخ عنه كما فعل غيرنا من الشعوب، ولا يخفى ما في ذلك من بيان لفضل القدماء في هذه الدراسات.

واستناداً إلى هذين المبدأين ارتأيت أنْ أصبّ جهدي على الدراسات التخصصية الدقيقة، مستنداً في طرحها إلى النظر اللساني الحديث، لأفرز من خلال ذلك جملة من الدراسات ذات الطابع الثنائي التي تجمع بين القدامة والحداثة، لنتعرف من خلالها على كنوز تراثنا المعرفية.

ولأهمية الغُنّة، وإشكاليتها في الطرح اللساني؛ قديمه وحديثه، وتشعّبها في مستويات البحث الصوتي وحقوله، وجدتني أتعرض لدراستها دراسة خاصة ومفصّلة درجاً على الغايات السابق ذكرها، وذلك من خلال مدخل ومحورين:

المدخل: مفهوم الغُنّة:

تُعرف الغُنّة في تراثنا اللساني بأنّها، صوت يخرج من الخيشوم، وهي صفة ذاتية لصوتي الميم والنون، واتفق على ذلك علماء اللغة والنحو والتجويد وغيرهم(١).

وشبّهها أغلب علمائنا القدامى بأصوات المدّ واللين، الأمر الذي أيّده الدارسون المحدثون، ففي ذلك يقول عبدالوهاب القرطبي: «... وهي (أي الغُنّة) صوت يجري في الخيشوم جريان حروف المدّ واللين في موضعها»(٢).

وقد أيّد الدرس الحديث هذه النظرة بالتجارب الصوتية، وهو ما يوضحه نصّ د. أحمد مختار عمر: «وقد ثبت أن الأنفيات تملك تركيباً حزماً مماثلاً لذلك الذي تملكه العلل، نتيجة الممرّ الحرّ للصوت خلال الأنف، وإن كانت الحزم مع الأنفيات أضعف لوجود الغلق في الفم»(٣).

وأخذت مباحث الغُنّة تتّسع في الدراسات اللسانية القديمة والحديثة، فساعد ذلك الاتساع على التداخل والاضطراب في تحديد المفاهيم أو تثبيت المصطلحات، فجاءت بذلك مباحث دراسة الغُنّة في الدرسَيْنِ اللسانيّيْنِ القديم والحديث، ذات إشكالات مفاهيمية واصطلاحية وغير ذلك، مما حدا بي الأمر إلى أن أضع حدوداً تفصل بين مواطن التداخل وأوضح ما أعضل من المفاهيم، فضلاً على إسهامها في الدرسيْنِ في التصنيف الصوتي، وسيتضح ذلك كلّه في محوريْ الدراسة.

---

(١) ينظر جمهرة اللغة: ابن دريد: ١/٧.

(٢) الموضح في التجويد: عبدالوهاب القرطبي.

(٣) دراسة الصوت اللغوي: د. أحمد مختار عمر: ص١١٥ وينظر:

Brosnahan, L.F. and Malnberg, B. Introduction to Phonetics, Cambridge, 1970: P111.

المحور الأول: أنماط صفة الغُنّة:

مـــن أكـــثر القضايا اللُّغوية إشكالاً واختلافاً، قضية المصطلح بين القدامى والمحدثيـــن، وذلك لاختلاف مستويات ثقافتهم والزوايا التي ينظرون منها، ونال مصطلح الغُنّة من هذا الإشكال والاختلاف حظاً وفيراً.

فمن ذلك إجماع القدامى ومن تبعهم من المحدثين على وسم الأنماط الثلاثة المختـــلفة للغُـــنّة؛ الذاتية، المميّزة والطارئة العرضية والمعيبة، بمصطلح واحد قوامه: «الغُنّة»[1].

أضف إلى ذلك ما حاوله بعض الدارسين المحدثين من الاستبدال بمصطلح (الغُـــنّة)، مصـــطلحات أخرى كـــ (الصفة الأنفية) أو (الصفة الخيشومية) وغير ذلك[2]، وهو أمر ليس دقيقاً لسببين:

١- أن المصطلح القديم شاع وتعارف عليه العالم والمتعلم، فضلاً على مجيئه عـــلى موازيـــن العربية وأبنيتها من دون أدنى خطأ، فلِمَ نهمل مصطلحاً شـــاع وعُـــرف وقرّ، ورثاه عن السلف والخلف وما به من عيب، ونلجأ إلى مصطلح جديد لم يشع بعد.

٢- إن الـــتحديد هـــنا أفضل من التعميم، لأننا لو أردنا معرفة صفة الشمس مثلاً، نقول: (الـــدفء والضـــوء) أفضل من قولنا: (الصفة الشمسية)، فالقول الأول منهما محدّد، أمّـــا الـــثاني فعـــائم زيـــادة على أن الغربيين الذين اعتمد عليهم أصحاب المصطلح الـــبديل، وســـموا الصّـــفة بـــــ(nalnasle)، ولم يصطلحوا عليها كما اصطلح عليها

(١) يـــنظر: المقتضب: ١٩٣/١ والتيسير في القراءات السبع: الداني: ٤٥ غاية الإحسان في خلق الإنسان: السيوطي: ٢٢٧- ٢٢٩ وآراء في اللغة: د. عامر السامرائي: ٦٥ وعيوب اللسان: د. رشيد العبيدي: ٢٥٦- ٢٥٧ و٢٧٤ والوجيز في فقه اللغة: محمد الأنطاكي: ١٦٩.

(٢) ينظر: التصريف العربي: الطيب البكوش: ٤١، واللغة وعلم النفس: د. موفق الحمداني: ٨٣.

المستبدلون، ولولا ذلك لوسموها بـ(Featurenose).

أمـا الإشـكال الأول فسنعالجه على ثلاث نقاط تبعاً لأنماط الغُنّة الثلاثة وذلك بحسب الآتي:

النمط الأول: الغُنّة، صفةً ذاتية مميّزةً:

قـبل الحديـث عن الغُنّة صفةً ذاتيةً يقتضي المقام توضيح متعلقات كثيرة مثل بيان مفهوم الصفة الذاتية «المميّزة» عند الباحث، وحقيقة الغُنّة وما إلى ذلك.

١: أ: مفهوم الصفة الذاتية المميّزة بحسب رأي الباحث:-

فكـرة (الصـفات المميِّـزة والصفات المحسِّنة) فكرة متأخرة تتبع إبداع المجوديـن والمؤلفين المتأخرين منهم، إذ ينسبها د. غانم قدوري إلى الحسن بن قاسـم المرادي (ت ٧٤٩هـ)[١] ... ملخصاً الفكرة وفائدتها بقوله: إنّ الصفات المميِّـزة تفيـد في «تمييز الحروف المشتركة في المخرج لأنّ المخرج للحرف كالميـزان تعرف به كميته، والصفة له كالناقد يعرف بها كيفيته، ولولا ذلك لكان الكـلام بمنزلة البهائم التي لها مخرج وصفة واحدة فلا تفهم»[٢] وتضم كلاً من: «الجهـر والهمـس، والشـدة والـرخاوة والتوسط بينهما، والإطباق والانفتاح، والاسـتعلاء والاستفال، والذلاقة والإصمات»[٣]، أما الصفات المحسّنة فتفيد في «تحسـين لفظ الحروف المختلفة المخارج. ويفهم من قولهم (محسنة) أن الصفة تعطـي الصـوت جرسـاً خاصـاً، دون أن يكـون ذلك سبباً للتمييز بينه وبين الأصوات الأخرى»[٤]، وتضم كُلاً من: «القلقلة، والصفير، والغُنّة، والانحراف،

(١) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: د. غانم قدوري الحمد: ٢٣١.
(٢) المصدر السابق: ٢٣٢.
(٣) المصدر السابق: ٢٣٧.
(٤) المصدر السابق: ٢٣٢.

والتكرير، والاستطالة، والتفشي»[1]، ويلاحظ على هذه الفكرة:

١- أنها تهتم باشتراك الأصوات في المخرج واختلافها فيه.

٢- أنها تعتمد على فكرة التضاد بين الصفات، فماله ضد يدخل ضمن الصفات المميّزة، وما ليس له ضد يدخل في الصفات المحسّنة.

وباعتماد هاتين الملحوظتين يمكن الإشكال على الفكرة بأمرين:

الأول: إن قولنا؛ صفات مميّزة تعني أنّها تميّز الصوت، ومحسّنة تعني أنّها تحسّنه، والعكس ليس صحيحاً، لكننا لو قلّبنا هذه الصفات لوجدنا أن من الصفات المميّزة ما هو محسّن ومن الصفات المحسّنة ما هو مميّز، فمثلاً، (ل،ر،ن) أصوات ذات صفات محسّنة- بحسب المفهوم القديم- لكننا لو حاولنا التمييز بينهما باعتماد المفهوم القديم نفسه لما استطعنا ذلك، لأنّهنّ مجهورات ومتوسطات ومنفتحات ومستفلات ومن الأصوات الذُّلْق ولا يمكن التمييز بينها إلاّ باعتماد الصفات المحسّنة- المفهوم القديم-، أما الجهر فهو من الصفات المميّزة، له سمة محسّنة إذ إنها تضفي ملمحاً رنيناً، فإنّ الغُنّة سمة جمالية للصوت تحسّن النطق به، ومميّزة أيضاً، وبذا تكون (الصفات؛ التكرير والانحراف والغُنّة) صفات محسّنة مميّزة و«الجهر» صفة مميّزة محسّنة، إذن؛ يمكن للتداخل أن يحل بين الصفات، الأمر الذي حصل مع د. غانم قدوري نفسه في حديثه عن (الإطباق والاستعلاء) اللذين وصفهما بأنّهما من الصفات المميّزة- في النصّ المشار إليه سلفاً- لكنّه فرق بينهما في الكتاب نفسه بنص جاء فيه: «... هناك فرق بين صفة الإطباق وصفة الاستعلاء هو: إن الأولى من الصفات المميّزة وإن الثانية من الصفات المحسّنة»[2]، وسبب هذا التناقض

(١) المصدر السابق: ٣٠٢.

(٢) المصدر السابق: ٢٩٢.

والتداخل الحدود التي وضعها القدامى وأيدهم الدكتور فيها.

الـثاني: تعتمد فكرة الصفات المميّزة والمحسّنة أكثر ما تعتمد على فكرة التضـاد في الصفات- كما نوّه به سلفاً- وهي فكرة لا تصلح دوماً للتفريق بين الأصـوات، فهناك صفات يتصف بها صوت أو مجموعة صغيرة تكون مميّزة أكـثر مـن المميّزة- بحسب المفهوم القديم- كما ذكر في النقطة الأولى، فضلاً عـلى أن القـول بتخصيص الصفات المميّزة بالأصوات ذات المخرج الواحد، وتخصـص الصـفات المحسّنة بالأصوات ذات المخارج المختلفة، لا تطرد في جميـع أصـواتها فـ(ر، ل، ن) مـن مخرج واحد مع ذلك وضعت صفاتها (التكرير والانحراف والغُنّة) مع الصفات المحسنة، وكذلك أصوات الصفير التي يقول فيها المبرد (ت ٢٨٥هـ)؛ «... ومن طرف اللسان وملتقى حروف الثنايا حروف الصفير، وهي حروف تنسل انسلالاً، س ص ز»[1].

وبـذا تضـرب الأركان التي تعتمدها الفكرة وهي (فكرة تضاد الصفات واشتراك المخرج واختلافه) فضلاً على حدود القسمين التي بُيِّنَ تداخلهما سلفاً، لذا يرى الباحث أن يوجّه هذان المصطلحانِ وجهةً جديدة مفادها:

١- تقسـم الصـفات صفات ذاتية خاصة وصفات عامة، ويقصد بالأولى: الصفات الـتي يتصـف بهـا صـوت أو أكـثر، ويقل عدد أصواتها عن عدد أصوات الصـفات العامـة ويـلجأ إليهـا كـثيراً لتمييز صوت من صوت مثل (الغُنّة والانحـراف والتكرير وما إلى ذلك) ويقصد بالثانية: الصفات التي تشترك فيها الأصـوات قاطـبة إلاّ ما ندر مثل الجهر والهمس فالصوت اللغوي لا يخلو أن يكـون مجهـوراً أو مهموساً، ولا يشذّ عن ذلك صوت- إلاّ في موارد ضيقة-

(١) المقتضب: المبرد: ت: عبدالخالق عظيمة: ١٩٣/١.

مثل الهمزة بحسب الرأي القائل بأنها ليست بمجهورة ولا مهموسة.

٢- أن لا يوضع مصطلح (الصفات المحسّنة) قسيماً لـ (الصفات المميزة) لأن الصفات نادر ما تكون محسّنة فحسب أو مميّزة فحسب، ولفكّ هذا التداخل يذوّب مصطلح (الصفات المحسّنة) في مصطلحي (الصفات العامة والذاتية المميّزة الخاصة).

١: ب: مجموعة الأصوات الغُنّية (الخيشومية، الأنفية) الذاتية:

وتضمّ هذه المجموعة صوتَيْ (الميم، والنون) اللذين يرتبطانِ بـ(صفة الغُنّة) التي تصدر بنفوذ الهواء عن طريق الأنف.

المصطلح:

على الرغم من ارتفاع اللَّبس عن مدلول هذه المصطلحات وبيان قرب مفاد كلّ واحد منهما وإشارته إلى صوتي الـ (م ، ن) فإنّ ثمة فروقاً دقيقة بين هذه المصطلحات فـ (مصطلح الخيشومية): يشير إلى مكان نفوذ الهواء والعضو الذي يسهم في ذلك النفوذ، وكذا الحال بـ (مصطلح الأنفية)، أما (مصطلح الغُنّية) فيومئ إلى نتيجة هذا النفوذ والصفة الصادرة منه.

وقبل أن يحكم على اتجاه كل مصطلح لابد من توضيح يحتاج الحكم إليه؛ ذكر في مستهل هذا البحث أنّ أغلب المحدثين أبدلوا مصطلح (الصفة الخيشومية، الأنفية) بمصطلح (الغُنّة)، ظناً منهم أنّها أدق من الوصف القديم، وسبق أن عرض الباحث رأيه وبين فضيلة رأي السلف. وبعد هذا؛ فإن قصد بمصطلحي (مجموعة الأصوات الخيشومية، الأنفية) الصفة، فالاكتفاء بالوصف القديم يغني عنه لأنّ تعدّد الأسماء لمسمى واحد قد يفقده الدقّة، وإن قصد به ما وُضّح قبل أسطر فيجري عليه الحكم الآتي:-

يعـــالج مصطلح (الأصوات الخيشومية، الأنفية) (المكان، العضو) اللذين يســـهمان فـــي إصـــدار الغُـــنّة، فالرابط بين أصوات مجموعته يقرب للمستوى المخـــرجي أكـــثر منه للوصفي، أما مصطلح (الأصوات الغُنّية) فيعالج (النتيجة، الصـــفة) الـــلذين يكونـــان بمعونة ركني المصطلح الأول، والرابط بين أصوات مجموعته يقرب للمستوى الوصفي أكثر منه للمخرجي.

الأصوات:-

يخـــصّ القدامى والمحدثون هذه المجموعة بصوتَيْ (النون، والميم)، لكن الباحث يرى رأياً آخر مفاده؛

إن أكثر الحقول سواء أكانت لغوية أم غير لغوية تجنح إلى الانقسام على نفسها إلى: جانب ذاتي وآخر عرضي، ولعل الحقل الصوتي من أخصبها، ومردّ ذلـــك إلى تحكّـــم قوانيـــن التأثر والتأثير فيه، ويمكن أن يجسد هذا الأمر بأجلى صـــورة فـــي الأصـــوات (الغُنّية) إذ يمكن تقسيمها إلى قسمين الأصوات الغُنّية الذاتية، والأصوات الغُنّية العرضية وتوضيح ذلك بالآتي:

الذاتية:

تضـــم فـــي العربية ألـــ (م، ن) فقط ويقصد بذاتيتها: أنّها الأصوات التي تتصف أساساً بالغُنّة ولا تجتلبها بالتعامل أو المجاورة.

العرضية:

يقصـــد بها الأصوات التي لا تتصف أساساً بالغُنّة، إنما اجتلبتها بالتعامل الصوتي والمجاورة وهي على نوعين:

١- صوامت غُنّية:

تمثّلها أصوات الإخفاء التي اكتسبت الغُنّة بالتعامل.

٢- صوائت غُنّية:

تمثلها الصوائت التي تجاور الأصوات الغُنّية الذاتية إذ تكتسب هذه الصوائت غُنّتها بالمجاورة.

وكان غياب هذه الحقيقة عن أذهان أكثر الدارسين سبباً لتداخل الأصوات المنضوية في هذا الجانب ضمن ذاك إذ جعل فرج الوليد الـ (م، و، ن) أصواتاً غُنّية[١]، ولم يحدّد أيّها الذاتي وأيّها العرضي أما سليم سلامة فخلط بينهما إذ جعل كلّاً من الـ (ي، ت، م، و)[٢] أصواتاً غُنّية ويُشكل على قول سليم هذا ثلاثة أمور هي أنه:

أ- لم يميز الأصوات الغُنّية الذاتية من العرضية.

ب- جعل معهما صوتاً لم ينصّ على غُنّيته أحد وهو التاء ولعلّه من الأخطاء المطبعية.

ج- أهمل الـ (ن) الذي هو والـ (م). أولى بالذكر من غيرهما.

النمط الثاني: الغُنّية صفة طارئة (عرضية):

تطرأ على الأصوات غير الغُنّية بسبب التعامل والتجاور الصوتيين (صفة الغُنّة)، وتفريقاً لهذه الحالة الوصفية للنون عن سابقتها: (الذاتية) يمكن أن يصطلح على الحالة الطارئة بـ(التغنين) (nasalization)[٣].

إذ تنتج هذه العملية في العربية بأجلى صورها عن طريق ما يعرف في المتن الصوتي العربي بـ (ظاهرة الإخفاء) التي يمكن لنا أن نحدها بأنها:

---

(١) ينظر : قواعد التلاوة وعلم التجويد: ٣٢.

(٢) ينظر: الثقافة العامة في اللغة العربية: ١٢.

(٣) ينظر:

Nasals and Nasaliation as Treated by Early Arab and Muslim Phoneticians: Muhammad Hasan Baklla: p٤.

ظاهرة تعامليه، تنتج عن تأثر النون الساكنة وتأثيرها في أصوات معينة، بسبب تجاورهـا وورودها في سلسلة صوتية واحدة، إذ يكمن تأثرها بفقدانها المخرج وشـيئاً مـن وضوحها السمعي نتيجة لذهاب جزء من طاقتها النطقية، وتأثيرها يكمـن في إكساب تلك الأصوات غُنّة وجهراً- المهموس منها قبلاً- وقد اختلف في الأصوات الداخلة ضمن هذه الظاهرة على رأيين هما:

أ- أكثر القدامى والمحدثين مع عدّها خمسة عشر صوتاً[1]، يجمعها أبو محمد عبدالله الواسطي (ت ٧٤٠هـ)[2] في أوائل كلم:

صف ذا ثناءكم جاد شخص قد سما

دم طـيباً، زد في تقى، ضع ظالما

ب- بقية القدامى والمحدثين ذهبوا إلى عدّ الـ(غ، خ) مع أصوات الإخفاء[3].

والـرأي هنا أن يكون ستة عشر صوتاً، بخلع الفاء ودرج الـ(غ، خ) مع أصـوات الإخفـاء إذ تنبّه القدامى إلى هاتين المسألتين، ففيما يخصّ الفاء أحسّ عـبدالوهاب القرطـبي بنـبوّ وضـعها مع أصوات الإخفاء، لكنه التمس، بعد اعتراضـه، عذراً لسابقيه[4]. ووجدتني أدرس تعامل الـ(ن) والفاء في موضوع الإقـلاب، وذلك لأمور كثيرة- سنناقش في موضعها ببحث مستقل إن شاء الله

(١) يـنظر: رسـالة في قواعد التلاوة:١١٨، والمختصر المفيد في العقائد والفقه والتجويد: ٣٤ وجعل اليمني الباء مع حروف إخفاء النون الساكنة والتنوين وعدّها ستة عشر صوتاً فضلاً على إهماله (الزاي). وهو خلط واضح: كشف المشكل: ٣٨٥/٢.

(٢) يـنظر: دراسـة الظواهر اللغوية والنحوية في كتاب (الكنز في قراءات العشرة): خالد أحمد المشهداني: ١٦٥ (رسائل) ولم يلتفت الباحث إلى أن صاحبه واضع هذا البيت.

(٣) ينظر: المدخل إلى علم اللغة: د. رمضان عبدالتواب: ٨٣، وجعل د. عبدالصبور شاهين الـ(غ، خ) من مخرج الـ(ق) وذهب إلى إنهما من أصوات الإظهار، أي إنه جمع بين المذهبين القديم والحديث: ينظر: أثر القراءات في الأصوات: ٢٢٤- ٢٢٥.

(٤) ينظر: الموضح في التجويد: ١٧١.

تعـالى- أما الـ (غ، خ) فيعدّها القدامى وأغلب المحدثين من أصوات الإظهار لكونهـا مـن أصوات الحلق- بحسب المفهوم القديم- غير أن هذا التوجّه هُجِر عند قسم من الدارسين المحدثين ويؤكد الباحث التوجّه الأخير لأسباب هي:

أ- إن تـباين اتجـاه الهـواء يحول بين تعامل النون وهذه الأصوات إذ يتّجه الهواء مع (ء، هـ، ع، ح) عموديـاً انسـجاماً مـع امتداد نقاط هذه الأصوات، أما الأخرى فامتدادها أفقي لذلك يكثر التعامل بين الأصوات ذات المسار الواحد(١).

ب- إن نقـاط نطق الـ (ء، هـ، ع، ح) تسبق الطبق الذي يكسب الأصوات بنزوله غُنّةً، أما الأصوات الأخرى فإنها إما مجاورة للطبق أو لاحقة به، لذا يصعب إكساب صوتَيْ الحلق وصوتَيْ الحنجرة غُنّة، لأنها لو تعاملت مـع الـنون لما تعدت الإخفاء- درجاً على صوتَيْ الـ (غ، خ) والإخفاء يكـون فيـه نـزول الطبق سابقاً على نطق الأصوات المخفية للنون كي تكسب غُنّة، أما الـ (ء، هـ، ع، ح) فلا يمكن فعل ذلك معها لأنها تسبق الطبق سواء أنزل أم لم ينزل.

ج- قوة الصفة الذاتية- الغُنّة- للنون أقوى مما تتصف به أصوات الإخفاء إذ تتراوح صفاتها بين صفات ذاتية تعدّ أضعف من الغُنّة كـ (الإطباق والصفير وغيرها) وصفات عامة لا تضاهي الصفة الذاتية.

د- إمكانيـة تعـامل الـنون مع هذه الأصوات وانتفاء تعملها مع أصوات الإظهار تعود لطـبيعة المسـار الـنطقي للأصوات، فمسار النقط النطقية لأصوات الإخفاء تساوي نقطـة نطـق النون، فكلاهما يتدرج مع المسار الأفقي، أما أصوات الإظهار فمسار نقط نطقها عمودي، مباين للمسار الأفقي- كما قُرِّر آنفاً-.

---

(١) يـنظر: تقسـيم د. سـلمان العـاني للأصوات بحسب مواضع نطقها إلى أفقية: وتضم الأصـوات قاطـبة مـاخلا الـ (ء، هـ، ع، خ) فإن مواضع نطقها عمودية: التشكيل الصوتي: ٤٩ (الجدول).